المبحث الخامس: النبي محمد ﷺ رحمة للعالمين

إن الله سبحانه وتعالى إنما يرسل رسله رحمة بالعباد، وهو غنيٌّ عنهم، وعن عبادهم له، وإذا أحسنوا فإنما يحسنون لأنفسهم في الدنيا والآخرة، وختم الله رسالته بالنبي الخاتم محمد ﷺ نبي الرحمة والهدى، وكان الهدف من إرساله ﷺ أنه رحمة للعالمين، بمكارم أخلاقه ﷺ، قال في أضواء البيان: (فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدنيا ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة)[1]، وكان ﷺ أرحم الناس، جاء في الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا[2]، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ، قَالَ عَمْرٌو: (فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ)[3].

أرسله الله بهذا القرآن المعجز، هذا الكتاب المتضمن للعقيدة وللشريعة، المطلوب اتباعها والتقوى فيها، رجاء أن ينال الناس ـــ حين يتبعونها ـــ رحمة الله في الدنيا والآخرة، هذا الكتاب هدى ورحمة للناس، وهو شفاء من الهوى ونزغات الشياطين، والاتجاهات المختلفة في الشعور والتفكير، ومن علل النظريات الاجتماعية الهدامة، هذا الكتاب الذي هو روحا من أمر الله تعالى، يحي به أمة، ويخرجها لتُخْرج من شاء، من عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد، قال تعالى: قال في أضواء البيان: وما ذكره جل وعلا ـــ من أنه ما أرسله إلا رحمة للعالمين ـــ يدل على أنه جاء بالرحمة للخلق فيما تضمنه هذا القرآن العظيم، وهذا المعنى جاء موضحا في مواضع من كتاب الله[4] كقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[5].

سنتكلم في المبحث السادس عن القرآن بأنه رحمة، وسيكون هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: من مظاهر الرحمة في حياة النبي ﷺ.

المطلب الثاني: المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في الرحمة.

---

1 ـ أضواء البيان، الشنقيطي، 251/8.
2 ـ الظئر: مرضعة غيرها، وهي زوجة الحداد.
3 ـ صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل 4280.
4 ـ انظر أضواء البيان، الشنقيطي، 251/4.
5 ـ العنكبوت (51).

المطلب الأول : من مظاهر الرحمة في حياة النبي محمد ﷺ:

إن الله تعالى يرحم الأمة بمحمد ﷺ كما في الحديث: عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا، وَنَبِيُّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ)[1].

كما أنه ﷺ رحمة مهداة للخلق جميعا، ففي الحديث: عَنْ أَبِي صَالِحٍ[2] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ[3].

و الموصوف في التوراة والإنجيل بنبي الرحمة، ففي حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الطويل في قصة معرفته برسول الله ﷺ قال: ثم قال الراهب: إن أدركت محمد بن عبد الله الذي يخرج من جبال تهامة فآمن به، واقرأ عليه السلام مني، قلت: صفه لي قال: إنه نبي يقال له نبي الرحمة محمد بن عبد الله، يخرج من جبال تهامة ويركب الجمل والحمار والفرس والبغل والبغلة، ويكون الحر والمملوك عنده سواء، **وتكون الرحمة في قلبه وجوارحه**، بين كتفيه بيضة كبيضة الحمامة، عليها مكتوب باطنها الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، ليس بحقود ولا حسود ولا يظلم معاهدا ولا مسلما[4].

1 ــ محمد ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق جميعا:

من رحمة الله بمحمد ﷺ أن ليَّن قلبه، فلم يكن غليظ القلب ولا فظا، فكان ﷺ مثلا لهذه الرحمة المهداة منه سبحانه وتعالى لخلقه، لنشاهد ونلاحظ هذه الرحمة منه ﷺ في حياته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ

1- صحيح مسلم، مسلم، 15/ 44، 5918 ، كتاب الفضائل.

2 - **أبو صالح:** هو ذكوان أبو صالح، نسبه : السمان الزيات، ثقة ثبت، من الطبقة الوسطى من التابعين، أقام بالمدينة وتوفي فيها سنة 101هـ، من شيوخه: ابراهيم بن عبد الله بن قارظ، واسحاق مولى زائدة، وجابر بن عبد الله، ورملة بنت أبي سفيان أم حبيبة، ومن تلاميذه: ابراهيم بن أبي ميمونة، وأزرق بن قيس، واسحاق بن عبد الله أبي طلحة زيد بن سهل، وبكير بن عبد الله بن الأشج، انظر(سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت:748هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1401هـ/1981م، ومعرفة الثقات، العجلي، (ت: 261هـ)، مكتبة الدار - المدينة المنورة، 1405هـ/1985م).

3- سنن الدارمي، الدارمي، 15، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ، المقدمة، دار الكتب العلمية - بيروت.

4 - كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت: 911هـ)، 37/1 - 38، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

يقول سيد قطب: (نجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ وطبيعته الخيّرة، الرحيمة الهينة اللينة، المعَدَّة لأن تتجمع عليها القلوب، وتتآلف حولها النفوس..

فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم؛ فجعلتهﷺ رحيما بهم ، لينا معهم، ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمّعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، الناس في حاجة إلى قلب كبير، يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام، والرعاية والعطف والسماحة، والود والرضاء، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليهﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة..

وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته، يذكّرهم بها في هذا الموقف، ليرتب عليها ما يريده – سبحانه – لحياة هذه الأمة من تنظيم)[2]:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

قال ابن القيم في الروح: ((وقد كان رسول الله ﷺ أرق الناس قلبا، وأبعدهم من الجزع، فرقة القلب رأفة ورحمة، وجزعه مرض وضعف، فالجزع حالة قلبٍ مريضٍ بالدنيا، قد غشيه دخان النفسِ الأمارة، فأخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة، وصار في سجن الهوى والنفس، وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسلك، فانحصار القلب وضيقه يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله، فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ من

1 ـ آل عمران (159).
2 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 /500 -501.
3 ـ آل عمران (159).

محبة الله وإجلاله، رق وصارت فيه الرأفة والرحمة، فتراه رحيما رفيق القلب، بكل ذي قربى، ومسلم يرحم النملة في حجرها، والطير في وكره، فضلا عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب من الله، قال أنس: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالعيال.

والله سبحانه إذا أراد أن يرحم عبدا أسكن في قلبه الرأفة والرحمة، وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة، وأبدله بهما الغلظة والقسوة، وفي الحديث الثابت: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قالَ: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِﷺ يقولُ: (لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ)[1] ، وفيه (من لا يرحم لا يرحم)[2] ، وفيه (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[3]، وفيه (أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال)[4]... والرب تعالى هو الرءوف الرحيم، وأقرب الخلق إليه وأعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته، وهذا باب لا يلجه إلا الأفراد في العالم))[5].

وقال ابن القيم في زاد المعاد: ((ومما يحمد عليهﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم إنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنهﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثا وأحلمهم وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالا، وأعظمهم عفوا ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، كما روى البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو[6] رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول اللهﷺ في التوراة: محمد عبدي ورسولي، سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله وأفتح به أعينا عميا وآذانا

---

1 ـ سنن الترمذي، الترمذي، 6/ 50، برقم 1927، باب ماجاء في رحمة الناس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1414هـ/ 1994م.
2 ـ سنن الترمذي، الترمذي، باب ماجاء في رحمة الولد، 6/ 37. من حديث الأقرع بن حابس السابق.
3 ـ سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في رحمة الناس، 6/ 52، برقم: 1928.
4 ـ صحيح مسلم، مسلم، 17/ 166.
5 ـ الروح في الكلام على الأرواح والأموات والأحياء، ابن القيم، 1 / 250 ـ 251، دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، 1393هـ/ 1973م.
6 ـ **عبد الله بن عمرو بن العاص:** العالم الرباني القرشي السهمي، هاجر هو أبوه قبل الفتح، وكان صواما قواما طالبا للعلم، وكان النبي ﷺ يفضله على أبيه، توفي بمصر سنة 65هجرية، ودفن بداره بسبب القتال بين مروان بن الحكم وابن الزبير، انظر(تذكرة الحفاظ 42/1، ترجمة رقم: 19، والإصابة 351/2، ترجمة رقم: 4847).

صما وقلوبا غلفا)[1]، وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعا واعظمهم إيثارا على نفسه، وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه.

ولله در القائل: كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدرا، وأصدقهم لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وألينهم عريكة: يعني سهل لين قريب من الناس، مجيب لدعوة من دعاه قاض لحاجة من استقضاه، جابر لقلب من قصده، لا يحرمه ولا يرده خائبا، إذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه وتابعهم فيه، وإن عزم على أمر لم يستبد دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم من محسنهم ويعفو عن مسيئهم.

وأكرمهم عشرة: يعني أنه لم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة وأحسنها وأكرمها، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ له في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة ونحوها، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمل غاية الاحتمال، فكانت عشرته لهم احتمال أذاهم وجفوتهم جملة، لا يعاقب أحدا منهم، ولا يلومه ولا يباديه بما يكره، من خالطه يقول أنا أحب الناس إليه، لما يرى من لطفه به وقربه منه وإقباله عليه، واهتمامه بأمره وتضحيته له وبذل إحسانه إليه، واحتمال جفوته فأي عشرة كانت أو تكون أكرم من هذه العشرة؟.

قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار وترك ما لا يعنيه، كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب

1 ـ صحيح البخاري، البخاري، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، برقم: 4719.

عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عند حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام)) [1].

2 ـــ بعثته ﷺ كانت رحمة :

كان إذا جاء المنافقين خبر من الأخبار، عن المؤمنين بالظفر والغنيمة، أو النكبة والهزيمة، أفشوه وأظهروه وتحدثوا به، قبل أن يقفوا على حقيقته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين، ولو ترك هؤلاء الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم، لعلمه الذين يستخرجونه منهم أي من الرسول وأولي الأمر، والرجوع إلى الرسول ﷺ وقاية من الضلال والتيه، ولذلك كانت بعثته ﷺ فضل ورحمة من الله تعالى، قال الإمام الرازي: ولولا بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم بالله[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاّ قَلِيلاً﴾[3].

وقال البيضاوي: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، لاتبعتم الشيطان والكفر والضلال، إلا قليلا منكم، ممن تفضل الله عليه بعقل راجح، اهتدى به إلى الحق والصواب، وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا على الندور[4].

1ـ زاد المعاد في هد ي خير العباد، 3 / 327، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط14، 1407هـ/ 1986م.
2 ـ التفسير الكبير، الرازي، 161/10.
3 ـ النساء (83).
4 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 226/2.

3 ـــ الرسول ﷺ رحمة للمؤمنين لأنه كان سبب إيمانهم:

فليعلم الذين يؤذون الرسول ﷺ بأقوالهم أو أفعالهم، أنه ﷺ إنما بعث رحمة لهم، فالذين أمنوا به هم الذين يرحموا لأنه ﷺ كان سببا لإيمانهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1]

فكان من المنافقين أناس يؤذون الرسول ﷺ بأقوالهم وأفعالهم، ويقولون هو أذن، يصدق بكل خبر يسمعه، قل هو أذن خير لا أذن شر، يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه، يصدق الله فيما يقول، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، لعلمه بإخلاصهم، قال الواحدي: وهو رحمة ـــ للمؤمنين ـــ لأنه كان سبب إيمانهم[2].

ووجه الخيرية والرحمة من وجهة نظر الإمام الرازي في قوله تعالى: (ورحمة للذين آمنوا منكم) قوله: فهذا أيضا موجب الخيرية، لأنه يجري أمركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم، ولا يسعى في هتك أستاركم، ويقول: أن من كان موصوفا بهذه الصفات، فكيف يجوز فيه وكيف يكون سليم القلب سريع الاغترار، ويقول: كأنه قيل أذن خير ورحمة، أي مستمع كلام، يكون سببا للخير والرحمة، لأن أشرف أقسام الخير هو الرحمة[3].

فالذين يعيبون الرسول ﷺ ويقولون ما لا يليق بجنابه الشريف، لهم عذاب موجع في الآخرة.

4 ـــ الرسول ﷺ رؤوف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [4].

---

1 ـ التوبة (61).
2 ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، 1/ 470، دار القلم ـ دمشق، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، 1415هـ / 1995م.
3 ـ انظر التفسير الكبير، الرازي، 94/16.
4 ـ التوبة (128).

قال ابن الجوزي[1]: لقد جاءكم أيها القوم رسول عظيم القدر، من جنسكم عربي قرشي، يبلغكم رسالة الله، و يشق عليه عنتكم، وهو المشقة ولقاء المكروه، حريص على هدايتكم، رؤوف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين، شديد الشفقة والرحمة عليهم، قال ابن عباس: سماه باسمين من أسمائه[2].

وقال أيضا: الرؤوف من صفة المصطفى ﷺ والمؤمنون، جاء وصف النبي ﷺ بالرؤوف الرحيم... فالرؤوف هنا شديد الرحمة، والرحيم الذي يريد لهم الخير، وقيل رؤوف بالطائعين، ورحيم بالمذنبين، قال ابن عباس رضي الله عنه: سماه المولى بأسماء من أسمائه، وفي الجمع بينهما دلالة على أن في كل منهما معنى ليس في الآخر، على نحو ما ذكره أهل العلم.

وقال: ومن رأفته ﷺ أنه أمر بالرفق كما قال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[3]، ومن رحمته قيل له: (فبما رحمة من الله لنت لهم)... أن رحمته ﷺ عامة للعالمين، وأما رحمته المضمومة إلى الرأفة فخاصة بالمؤمنين، وكأن الرأفة إشارة إلى ظهور أثر الدعوة في حقهم، فالمؤمنون أمة الدعوة والإجابة جميعا، وغيرهم أمة الدعوة فقط[4].

5 ـــ محمد ﷺ خلق بنفسه رحمة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5]

قال في التسهيل: هذا خطاب لسيدنا محمد ﷺ وفيه تشريف عظيم، وأن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة

---

1 ـ **ابن الجوزي:** هو جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري، من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضى الله عنه، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (508هـ/ 597 هـ)، البغدادي الحنبلى الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك، صاحب المصنفات العديدة، منها الموضوعات، قال الذهبي: كان مبرزا في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ ومتوسطا في المذهب وفي الحديث له إطلاع تام على متونه وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين، ولد تقريبا سنة ثمان أو عشر وخمسمائة، وتوفي سنة 597هـ، انظر(طبقات المفسرين - السيوطي 61/1، رقم الترجمة 50).

2 ـ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الحوزي، 3 / 521، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط3، 1404هـ / 1984م.

3 ـ مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، برقم: 12759، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

4 ـ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، 3 /521

5 ـ الأنبياء (107).

العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم، والكفار لم يرحموا به، فالجواب من وجهين أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به، لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر أنهم رحموا به، لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون، من الطوفان والصيحة وشبه ذلك[1].

وقال البيضاوي: لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وقيل: كونه رحمة للكفار، أمنهم به من الخسف، والمسخ وعذاب الاستئصال[2].

وقال القرطبي: والرسل خلقوا للرحمة، ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أمانا للخلق لَمَّا بعثه الله أمِن الخلق العذاب، إلى نفخة الصور، وسائر الأنبياء لم يحِلُّوا هذا المحل، ولذلك قال ﷺ: (أنا رحمة مهداة) يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله تعالى، وقوله: (مهداة) أي هدية من الله للخلق[3].

وقال الحكيم الترمذي[4]: أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد، وذلك أن بعثته كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا، ليدخل في حد الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة، ثم الوحي، كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة، التي كانت حظ هذه الأمة من الله إلى الأمة[5].

وهكذا كان ﷺ رحمة، وعندما يتعرض للأذى من قومه، يأبى أن يدعو عليهم، لأنه إنما بعث داعيا ورحمة، وطمعا في إسلامهم، فيدعو لهم بدلا من ذلك بالمغفرة.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[6].

---

1 ـ التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي، 3/ 33- 34.
2 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 4 / 111.
3 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4 / 63.
4 ـ **الترمذي:** واسمه محمد بن عيسى بن سورة وله من الكتب كتاب التاريخ كتاب الصحيح كتاب العلل، انظر(الفهرست ـ ابن النديم، 325/1).
5 ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، 1 / 119 ـ 120،دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: سعيد المندوب، ط1، 1416هـ/ 1996م.
6 ـ آل عمران(128).

وقوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) تقريب لما استبعده وإطماع في إسلامهم، ولما أطمع في ذلك قال ﷺ : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب أغفر لقومي فإنهم لايعلمون)، قال علماؤنا: فالحاكي في حديث ابن مسعود هو الرسول ﷺ، وهو المحكي عنه، بدليل ما قد جاء صريحا مبينا، أنه ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه شقا شديدا، وقالوا: لو دعوت عليهم، في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[1]، اللهم أغفر لقومي فإنهم لايعلمون)، فكأنه ﷺ أوحي إليه بذلك قبل وقوع قضية أحد، و لم يعين له ذلك النبي ﷺ ، فلما وقع له ذلك تعين أنه المعنيُّ بذلك، بدليل ماذكرنا، ويبينه أيضا ما قاله عمر له في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[2]، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فقد وطيء ظهرك وأدميَّ وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيرا، فقلت: رب أغفر لقومي فإنهم لايعلمون[3].

وقال ابن القيم: وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم، عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة، التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة[4].

وقال ابن القيم: وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [5] أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وجهان **أحدهما**: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة... ـــ وقد ذكرنا طرفا منه ـــ وأما

1- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، 16/ 129، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم: 6565، دار الكتب العلمية - بيروت، 1412هـ/ 1992م.
2 - نوح (26).
3 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4 / 199 - 200 .
4 - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، 1/ 95 - 96.
5 - الأنبياء (107).

المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به، حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره، وأما الأمم النائية عنه، فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته، ثم قال:

والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة، فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله المريض، لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض[1]..

وقال في كفاية الطالب: وعن ابن عباس في قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال: من آمن تمت له الرحمة على الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف[2].

6 ــ محمد ﷺ رحمة عندما أرسله الله منذرا:

قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3] ، يقول سيد قطب: وما سمع رسول الله ﷺ النداء، وما سجَّل في وقتها تفصيلاته، ولكنها رحمة الله بقومه هؤلاء، أن قصَّ عليه تلك الأنباء الدالة على صدقه ﷺ، فيما يدعوهم إليه، لينذر هؤلاء القوم الذين لم يأتهم نذير من قبله، فقد كانت الرسالات في بني إسرائيل من حولهم، ولم يرسل إليهم رسول منذ أمد طويل، منذ أبيهم إسماعيل: لعلهم يتذكرون.

ثم قال سيد: فهي رحمة الله بالقوم، وهي حجته كذلك عليهم، كي لا يعتذروا بأنهم أُخِذوا على غرة، وأنهم لم ينذروا قبل أخذهم بالعذاب، وما هم فيه من جاهلية وشرك ومعصية يستوجب العذاب، فأراد الله أن يقطع حجتهم، وأن يعذر إليهم، وأن يقفهم أمام أنفسهم، مجردين من كل عائق يعوقهم عن الإيمان[4].

---

1 ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، 3 / 327.
2 ـ كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت: 911هـ)، 322/2، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
3 ـ القصص (46).
4 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 5 / 2698.

المطلب الثاني: المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في الرحمة:

أ ـــ **تجلي رحمته ﷺ في الصلاة:** عن أبي قتادة[1] رضي الله عنه أنه قال: قال : رسول ﷺ : (عن أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ[2] فِي صَلاتِي، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)[3].

ـــ وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه يصلي، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها[4].

ب ـــ **من حسن أخلاقه ﷺ:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)[5].

ج ـــ **قلبه الرحيم ﷺ:** وعن أسامة بن زيد[6] رضي الله عنهما قال: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ، وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: (هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)[7].

---

1 ـ **أبو قتادة**: هو الحارث بن ربعي، الأنصاري السلمي، صحابي، أقام في المدينة، توفي بالكوفة سنة 54هـ، انظر(الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الفكر ـ بيروت، 1398هـ/1978م).

2 ـ فأتجوز: فأخفف.

3 ـ صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب الآذان، باب: من أخف الصلاة عند الصبي، برقم: 666.

4 ـ صحيح البخاري، البخاري، الفتح 5996/10.

5 ـ صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، كتاب البر والصلة والآداب، برقم: 4704.

6 ـ **أسامة بن زيد** بن حارثة بن شرحبيل الكلبي، أبو محمد، صحابي، لقبه حب رسول الله، عاش في المدينة، وتوفي فيها سنة 54هـ، انظر (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني).

7 ـ صحيح البخاري، البخاري ، كتاب الجنائز، برقم: 1204.

ـــ وعن عبد الله بن عمر[1] رضي الله عنه قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية[2]، أهله، فقال: قد قضى؟، قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ فما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: أَلا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِي اللَّهم عَنْهم يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ، وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب[3].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[4] رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِي اللَّه عَنْه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)[5].

ح ـــ من رحمته ﷺ رفع الحرج عن أمته: عَنِ الأَعْرَجِ[6] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ)[7].

خ ـــ رحمته ﷺ بقريش: عن عَائِشَةَ[8] رَضِي اللَّه عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ،

---

1 ـ **عبد الله بن عمر** بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن، صحابي، أقام بالمدينة، توفي بمرو الروذ سنة 73هـ، انظر (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني).

2 ـ الذين يغشونه للخدمة، وقيل هي الداهية من شر أو مكروه.

3 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز 1221.

4 ـ **أنس بن مالك** بن النضر بن ربعي، أبو حمزة الأنصاري المدني، صحابي، اقام بالبصرة، توفي 91هـ، انظر (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني).

5 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز 1220.

6 ـ **الأعرج:** هو عبد الرحمن بن هرمز المدني، أبو داود، لقبه الأعرج، تابعي، أقام بالمدينة، وتوفي بالإسكندرية سنة 117هـ.

7 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة، برقم: 838.

8 ـ **عائشة بنت أبي بكر** الصديق التميمية رضي الله عنهما، أم عبد الله ، أم المؤمنين، صحابية، أقامت بالمدينة وتوفيت فيها سنة 58هـ، انظر (تذكرة الحفاظ، القيسراني، 27/1، ترجمة رقم: 13).

وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ, فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[1].

د ـــ صلاة النبي ﷺ على المؤمنين رحمة:

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ[2] عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ بن الضحاك الأنصاري، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَى قَبْرًا جَدِيدًا فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ فلانَةُ مَوْلاةُ بَنِي فُلانٍ ـــ فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ـــ مَاتَتْ ظُهْرًا وَأَنْتَ نَائِمٌ قَائِلٌ فَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نُوقِظَكَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: (لا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إلاّ آذَنْتُمُونِي بِهِ فَإِنَّ صَلاتِي لَهُ رَحْمَةٌ)[3].

ذ ـــ رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقتة عليهم: عَنْ بُرَيْدَةَ بن الحصيب[4] رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ فِيهِمَا فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَطَعَ كَلامَهُ فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَولادُكُمْ فِتْنَةٌ) رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلامِي فَحَمَلْتُهُمَا[5].

7 ـــ من تعليم رسول الله ﷺ الرحمة لأصحابه وللأمة:

ومن تعليم رسول الله ﷺ لأصحابه هذه الحقيقة القرآنية، بهذا الأسلوب الموحي، كان ينتقل بهم خطوة أخرى؛ ليتخلقوا بخلق الله هذا في رحمته، ليتراحموا فيما بينهم وليرحموا

1 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق 2992.
2 ـ **خارجة بن زيد** بن ثابت، النجاري الأنصاري، أبو زيد، تابعي، أقام بالمدينة وتوفي سنة 100هـ.
3 ـ سنن النسائي، النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر، كتاب الجنائز 1995، دار البشائر الإسلامية ـ 1986م.
4 ـ **بريدة بن الحصيب** بن عبد الله بن الحارث، الأسلمي المدني، صحابي، أقام بالبصرة، توفي بكفر جديا سنة 63هجرية.
5 ـ سنن النسائي، النسائي، كتاب الجمعة 1396.

الأحياء جميعا؛ ولتتذوق قلوبهم مذاق الرحمة وهم يتعاملون بها، كما تذوقوها في معاملة الله لهم بها من قبل.

عن ابن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : (الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..) [1]

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه[2]، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ)[3]، وفي رواية لأبي داود والترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمﷺ يقولُ: (لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلاَّ مِنْ شَقِيّ)[4].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)[5].

ولم يكن ﷺ يقف في تعليمه لأصحابه – رضوان الله عليهم – عند حد الرحمة بالناس، وقد علم أن رحمة ربه وسعت كل شيء، وأن المؤمنين مأمورون أن يتخلقوا بأخلاق الله؛ وأن الإنسان لا يبلغ تمام إنسانيته، إلا حين يرحم كل حيٍّ، تخلقا بخلق الله سبحانه، وكان تعليمه لهم بالطريقة الموحية التي عهدناها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[6].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)[7].

---

1 ـ سنن أبي داود، أبو داود، 4941 ، وسنن الترمذي، الترمذي، 1569

2 ـ **جرير بن عبد الله** بن جابر البجلي، أبو عمرو، صحابي، أقام بالكوفة، توفي سنة: 15هـ.

3 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد 6828.

4 ـ سنن الترمذي، الترمذي، 6/ 50، برقم 1927، باب ماجاء في رحمة الناس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1414هـ/ 1994م.

5 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب 5538.

6 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب المسقاة 2190.

7 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب آحاديث الأنتياء 3208.

عنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بن عَبْدِ اللهِ[1] عنْ أبيهِ ، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فقال: مَنْ فَجَّعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا، رُدُّوا وَلْدَهَا إلَيْهَا، وَرَأى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فقال: مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ، قال: إنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلاَّ رَبُّ النَّارِ)[2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فحرقت، فأوحي الله تعالى إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله؟.[3]..

وهكذا علّم رسول الله ﷺ أصحابه هدى القرآن، ليتذوقوا رحمة الله من خلال مزاولتهم للرحمة، أليس أنهم إنما يتراحمون برحمة واحدة من رحمات الله الكثيرة؟!

يقول سيد قطب: وبعد فإن استقرار هذه الحقيقة في تصور المسلم لينشيء في حسه وفي حياته وفي خلقه آثارا عميقة؛ يصعب كذلك تقصيها...

إن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو ليسكب في قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه – حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء، التي تزيغ فيها القلوب والأبصار – فهو يستيقن أن الرحمة وراء كل لمحة، وكل حالة، وكل وضع؛ وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تخلى عنه، أو طرده من رحمته، فإن الله لا يطرد من رحمته أحدا يرجوها، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله، ويرفضون رحمته ويبعدون عنها!.

وهذه الطمأنينة إلى رحمة الله، تملأ القلب بالثبات والصبر، وبالرجاء والأمل، وبالهدوء والراحة.. فهو في كنف ودود، يستروح ظلاله، ما دام لا يبعد عنه في الشرود!.

والشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يستجيش في حس المؤمن الحياء من الله، فإن الطمع في المغفرة والرحمة لا يجريء على المعصية – كما يتوهم البعض – إنما يستجيش الحياء من الله الغفور الرحيم، والقلب الذي تجرئه الرحمة على المعصية، هو قلب لم يتذوق حلاوة الإيمان الحقيقية! لذلك لا أستطيع أن أفهم أو أسلم ما يجري على ألسنة بعض

1 ـ **عبد الرحمن بن عبد الله** بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي المدني، من كبار التابعين، أقام بالكوفة وتوفي سنة 79هـ.
2 ـ سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الجهاد، 2676.
3 ـ صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، 2796.

المتصوفة، من أنهم يلجون في الذنب ليتذوقوا حلاوة الحلم، أو المغفرة، أو الرحمة.. إن هذا ليس منطق الفطرة السوية في مقابلة الرحمة الإلهية!.

كذلك فإن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو، يؤثر تأثيرا قويا في خلق المؤمن، وهو يعلم أنه مأمور أن يتخلق بأخلاق الله – سبحانه – وهو يرى نفسه مغمورا برحمة الله مع تقصيره وذنبه وخطئه – فيعلمه ذلك كله كيف يرحم، وكيف يعفو، وكيف يغفر.. كما رأينا في تعليم الرسول ﷺ لأصحابه؛ مستمدا تعليمه لهم من هذه الحقيقة الكبيرة[1]..

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 3 / 1051 - 1052